ديوان الصَّبا

د. مصطفى الجاي

المغرب، 2019

إهداء

إلى كل كيلوبرتا

إلى كل قيس

فهرس

إهداء 3
تقديم 5
مقدمة الكاتب 9
مقدمة شعرية 11
أيا معذبتي 17
أنا الصوَّامُ 27
أغار 33
رؤيا 37
سامحيني 41
ما نامت الأعين 45
عار على قيس 51
يوم اللقاء 57
شرح المفردات 65

تقديم

مقدمة الكاتب

يحتوي هذا الديوان على ثمان قصائد في لونين من الشعر، الغزل و الصَّبا.

القصائد مستوحاة من الحس الشخصي للكاتب إما انطلاقا من تجربته الشخصية في إحدى مراحل حياته، و إما لابسا زي إحدى الشخصيات أو النفسيات التي يتمكن من خلالها استيحاء هذا النوع من الشعر.

في مجملها، تتكون الكتابة من شعر حر مع محاولة التقفية بأجزاء، كالقصائد الثلاثة الأولى و قصيدة *سامحيني*، أو تعميم التقفية كما هو الشأن لقصيدة *رؤيا* ثم للقصيدتين الأخيرتين.

يعبر الكاتب هنا أساسا عن أحاسيس الفراق و عدم اللقى مع الحبيب، مما يكسب النسق العام للكتابة طابع الحزن. و مع أن بعض القصائد عبارة عن شعر الغزل .إلا أنه يميل بذلك للون الصَّبا، و بذلك سمي الديوان بـ*ديوان الصَّبا*.

مقدمة شعرية

فاس، 27 دجنبر 2019

كتبت الكتاب حبا في الحب،

لا لهوا و لا شططا،

شوقا من شوق،

لا سهوا و لا غَلطا،

يحسبه الصُّمُّ بؤسا،

فما أدركوا العشق و لا الغِبْطا،

فيه من لون الصَّبا و الغَزَل،

لكن هو روح الصوف و الأمل،

أمل العفو و محو للزلل،

فعنده تَوْبُ النفس من الدُّوَل،

كِسائي في هواها، و هواها من هواه،

و هواه من هواي بلا كَلٍّ و لا عِلَل،

دَلَّت على مدلول و إن هو خالق الدّلَل،

فلا كيفُ الكيفِ و لا مكنونُ الأمل،

وجدته فِيَّ أصلا لا بِدَعا،

فهَويت الكون بغير مَلٍّ و لا كَلَل،

به وجدت النور، في كُلِّ جَدٍّ و في الطَّلَل،

فتلك طريق و سبيل من السبل،

عُلِّمْتُ دروب النفس بوصلها و هجرها،

فهداني بها بِعِلْمِ الوُجْدِ و اللَّدُنِي،

لا قرأت آيَ الخوف و لا مَسّنِي

إلا آي الرجا منه و حب الأزل،

فتلك سطور رجوت العفو بها

من مدرك الخفايا و صاحب الطِوَل.

أيا معذبتي

فاس، 10 دجنبر 2019

أيا معذبتي،

بين دروب الماضي و طيات نفسي،

لم أزل ذلك الطفل البريء، المكلوم، الباكي،

لم أزل ذلك الحالم التائه الواهي،

باحثا عن كيلوبترا في غياهب الظلام الحالك،

تلك المألوهة في الأزل،

وحبي يملأ الكون في صمت،

إن نطق، أطفأ السماء نجما نجما،

فلا حياة بعد ولا ممات،

معلقا في سر العيون العُسَّل،

سائحا في ورود الخدود الفُتَن،

قمر في هيئة إنسان،

غزال في صورة حواء،

مالي و للدنيا تسبح بي بين هرطقات الحكماء،

فلم أعد أدري ما الصحيح و لا البلاء،

و أنا الذي خلت نفسي البطل المغوار،

فلا أبطال اليوم و لا شجعان،

معذبتي،

أفنيت عمري في حبها،

و ما دريت ما كان من حالها،

بالها مشغول بغيري،

و بالي مشغول بظُفرها،

وجنتان مكنونتان في بيت أبيها،

و هو الحارس على قصورها و جوهرها،

ما دريت ما بي إلا بعد طول،

زمان و أزمنة و زمن و أزمان،

ثوان كالأسهم تشق الصدر و الوجدان،

تدمي قلبي و مهجتي،

فما حييت بغيرها و لا بسواها،

فلا سواء الآن و لا أمثال،

كيف لي و هي الماكثة في قمم الجبال،

جبال العشق و الهيام و الأشعار،

ما كلمتني و لا دريت ما بها،

حتى فات الأوان على حبها،

فلِكُلِّ اليوم كعبة يطوف بها،

فاليوم هي كعبتي أطَّوَّفُ بها،

واليوم هي كعبتي ألبي عندها،

تلبية تفني الدهر لو بُحْتُ بها،

فما زلت أكتب و لن يجِفَّ حِبرها،

و لو خضت البحار ما سكتُّ عن نُطق اسمها،

حروف من نار و من نور و من دم الشجعان،

أكتبه على كل معبد،

أكتبه على كل هيكل،

معابد خاوية ما لم تدركها،

فأدركتها لما بلغ بي العمر مبلغا،

وبكت علي الصبايا حَزَنَا،

فها أنا ذا في انتظار المنايا و القياما،

و لكم تمنيت من الرحمن أن يكرم المثوى،

و لكم تمنيت تَمَّ لُقياها،

أستغفرك، يا مدرك النوايا و الخفايا،

أستغفرك، يا من خلقتني غضّا مرهفا،

يا إلهي، إن كان الحب شريعتي و عقيدتي،

فاغفر لي و اعف عني،

و أدخلني جنة فؤادها،

فَتَمَّ العفو و الغفرانا.

أنا الصوَّامُ

فاس، 11 دجنبر 2019

يا من له الأسماء،

و أصل كلِّ الجمال،

تعالى عن الوصف،

و كلٌّ به موصوف،

مبدع الوصال به و بغيره،

و الكل به موصول،

فأنَّا ليَ الوصل به،

و القلب بالغير مشغول،

هام على الهوى فهوى،

فكان بهواها معلول،

ما رسَى الفؤاد على بَرِّ،

فلم يزل به مكلول،

مالت رواسيه بالصَّبا،

فدل عليه المدلول،

تصدع الصدر بخنجر،

فظل به مكدوم،

نامت أُمُّ الشَّبا،

فمكثْتُ هنالك مكلوم،

فاحت من ثناياي قُرَحٌ،

بالكاد كانت آلام،

يا من به الوصل يُرجَى،

لك النجوى اليومَ و العلنُ،

ما همَّني خاطري فاليوم

أفنى فيها فصارت هي الكونُ،

طابت نجواها لك فدَعَتْ

عَلَيَّ فصِرْتُ أنا الملعون،

خرجت من جنة الخلد كما أبي قبلي،

فصرت أنا الإنسانُ،

أولى البشر بلا حواءَ،

فكان بيَ البترُ، فأنا المبتور،

هلكت بالرمضاء فلم أُروى،

فصمت الدهر فصرت أنا الصوام،

جبار فوق العباد يرجى،

له الندا، يا مجيب الدُّعا و يا قوام.

أغار

فاس، 14 دجنبر 2019

أغار من الندى على الزهر،

أغار من الهوا على الثغر،

أغار من السَّنَا على العين،

أغار من الكشف على الشعر،

أغار من اللَّحْظِ فوق الخد،

أغار من العُقْد على النحر،

أغار من العطر على الكف،

أغار من الصبغ على الظفر،

أخاف على النهر من السيل،

أخاف على القلب من الغَزَلِ،

أخاف على النفس من البعد،

أخاف على النار من القرب،

أخاف على الليل من البدر،

أخاف على النجم من الشمس،

أخاف على النور من النور،

أخاف على القِدْح من الكسر،

أخاف على الأرض من الورد،

أخاف على العشق من العَوْد،

أخاف على الذات من الروح،

أخاف على الروح من الكفر،

أخاف على العين من الومض،

أخاف على القلب من النبض.

رؤيا

فاس، 15 دجنبر 2019

حسبتك يوما بين سُرُج الثُّرَيَّا،

ملاكا لا يُكشف إلا ببلوغ المنايا،

كم كنت طفلا حينئذ،

و ما كنت أدري بَعْدُ كَمَّ البلايا،

أكتافي اليوم حُبلى بالصَّمِّ و بالخطايا،

و لا زال جلدي يروي العِبر للصبايا،

حارت في أخاديده حِكمٌ،

ما فهمت ما تلك البلايا،

و إني قد عُلِّمتُ في الرُّؤى من قبل،

فكنت بذلك صاحب الجِنايا،

لي الأمر و النهي و بِيَ سارت السرايا،

سرايا الحب و الحرب بالنفس و للنفس،

فكنت بذلك أنا فَرْضَ الكفايا،

جريح أو سقيم، فهو ذاك،

فلتخبرني هي،

فقد عَلِمَت مني الأمس كُلَّ النوايا،

ماضِيَّ مرصوص في أسطر،

فهو لكم اليوم مثل المرايا،

روحي اليوم لكم عكسٌ

للَّوْح و وصف للخبايا،

خبايا الغيب و إن عُلِّمتُ من قبل،

إي و الله، فلذلك استحققت تلك النهايا.

سامحيني

فاس، 17 دجنبر 2019

سامحيني على كل فعل لم يكن بيدي،

سامحيني على كل شعر لم ينطقه لساني،

سامحيني على كل حرف كشفه حالي،

سامحيني على كل غدر سببه وفائي،

سامحيني على كل وهم رسمه خيالي،

سامحيني على كل قهر سَبَّبَهُ كتابي،

سامحيني على كل حب ضاعت فيه طريقي،

سامحيني على كل شوق تاه فيه فؤادي،

سامحيني على كل غَوْرٍ خبَّأت فيه هيامي،

سامحيني على كل بحر أَمْلَحَتْ به سفني،

سامحيني على كل نيل تغنى به وتري،

سامحيني على كل بَرٍّ رَسَتْ به سُبُلِي،

سامحيني على كل بُعْدٍ طال به غيابي،

سامحيني على كل قرب احترق به رفاتي،

سامحيني على كل يوم شكوت له آلامي،

سامحيني على كل بدر رَسَمْتِ فيه صورتي،

سامحيني على كل خيال خِلْتِ فيه أحلامي،

سامحيني، سامحيني، سامحيني...

فغداً لن أنطق البَتَّ اسمك، سامحيني.

ما نامت الأعين

فاس، 19 دجنبر 2019

أنا خليل الليل و نديمه،

أنا كاسي البدر و أسيره،

أنا هادي الحزن و دليله،

أنا منجي القلب و هليكه،

بيدي المفتاح و قفله،

بيدي الفراق و ضده،

بيدي الطير و أسره،

بعيني لاح ظله،

بيدي أخذت سماءه،

بيدي قطع جنحه،

فلأذهب إلى الجحيم فلم

أعتق الطير...، فموته،

جحيم الدنيا و نعيمها،

صنوان اليوم ما افترقا،

كيوم في جنة الخلد

بأيام في نار البرد،

أمسيت الأمس بنعماء (أي القرب و الوصال)

أصبحت منها بضراء (أي الوداع و الفراق)

كانت لتطلب القرب لولا

فات الزمان لحب ليلى،

و أني لا أزال بحبيبتيها (أي بعينيها)

متيما لا زلت حتى،

يأتي الموت بغتة،

من فراق بات حيا،

عشقها في القلب عيد (أي يرجع من حين لآخر)

لدي يوما و ليلا،

و للفراق ضيق في الصدر،

يهد الجبال هدا،

ما نامت أعين الأسد خوفا،

...على الصدر من حب ليلى

عار على قيس

فاس، 20 دجنبر 2019

عار على قيس من قُرَّة جاره،

بقلب مُتَيَّم الأحشاء للرب خاشعُ،

طالب العفو من الله فكم

من الدهور بات للوصال مانع،

تطلب الأُخُوَّة من قيس كما

يَحُسُّ الوريدَ من الأصل القاطعُ،

عار على قيس من طَوْع ربه

لأزمان صامها له غير طائع،

بُعْدُ الرِّضَاب يَقْتُلُ الروح فلا

يُرْوَى ظما النجم و الطالعُ،

نجم قيس يضيء الكون بأدعية

يُلَبّي لها رب البرايا الصانع،

فلا مجيب الليل لدعوة قيس

بات الجار بها اليوم ماتع،

و لِقيس في علم النفوس نظر

أضحت وبالا عليه، لَوَاذِعُ،

قارئ للعين و الغيب صار بها

من دون خلق الله الأَسْنَعُ،

جادت عليه بحرف الحاء و الباء مُضْمِرَةً

في ثنايا الخاطر فكان البارع،

بارع في علم العشق و العذاب و لو

أن البال هائمٌ اليوم و شاسع،

غريبٌ في الفلاة غيرُ آبِهٍ

كالخيل في أرض العِراك ضَوَابِعُ،

فالآن يدخل داره ساكنا

بِقَدَرٍ أسلمه قيسٌ نَحْرَهُ،

تائبا للرب من جُمَحِ أنفاسِه

داعيا يا مجيب الدعا و يا واسع.

يوم اللقاء

القصر الكبير، 21 دجنبر 2019

كل سُلامَى من الجسم تحكي

ما روى المطر يوم اللقاء،

بسمة الثغر عذبة

باتت دَيْناً في الأعناق،

شهر مَرَّ كالفجر

كرشفة شاي فذاك يوم الفراق،

فراقا لا زال يحرقه

فاليوم صار كشفا للنفاق،

تاريخ مليء بالجراح لمَّا

علّمَتْهُ ما كان يومئذٍ السياق،

نظرة من عين ثاقبة

حَسِبَتْها كُرْهاً للآفاق،

آفاق كونها و شِعرها و عشقها

و ما كان إلا تَمَنٍّ للعناق،

مرت الأعوام و السِّنُونُ

و للزمان دواء للأشواق،

زِيحَت بإكسيره عِلَلٌ

باتت وأدا، ثُمَّ أفاق،

أفاق يوما بعد طول لمَّا

رآها و طفليها في الأسواق،

فما كان منه إلا أن نادى

هل أنتِ أنتِ أم وَمْضُ الإبراق،

رأته بعين الكسر حتى

أُفْحِمَ القلب باحتراق،

فنادى ربه ثانية

يا رافع النبي بالبراق،

أنجني من فتن نفسي

فلا حُكْمَ لي على قلوب العُشَّاق،

فأجاب الرب يا عبدِ

لك الأمر و النهي، فأنت صاحب الأشواق،

فأجاب العبد يا صاحب الفردوس

و يا مقلب القلب و صاحب الإحقاق،

ثبت القلب و اجعلني

عند كل ومض أهلا للإعتاق،

فتركه الرب فَرْداً و لبَّى

و قال له ذاك هو الميثاق،

يا عبد كن لي وَفِيّاً

و بعوني شُدَّ قَدْرَ الوَثَاق،

فما كان منه إلا

أن صام الدهر، و أخيرا حان يوم اللَّحاق،

لحاق بالعلي كما أريد له

فعند ذاك النفخ بالأبواق.

شرح المفردات

قصيدة *أيا معذبتي*

المكلوم

غياهب

الحالك

المألوه

هرطقات

الوجنة

الهيكل

قصيدة *أنا الصوام*

معلول

الصَّبا

تصدع

مكدوم

الشَّبا

مكلوم

الثنايا

قُرَحٌ

النجوى

المبتور

الرمضاء

قصيدة *أغار*

الثغر

السَّنا

اللَّحظ

النَّحر

قصيدة *رؤيا*

الثُّريا

الصَّم

قصيدة *سامحيني*

غَوْر

قصيدة *عار على قيس*

قُرَّة

يَحُسُّ

الرِّضاب

الطالع

لواذع

الأسنع

شاسع

الفلاة

ضوابع

ساكنا

جُمَح

قصيدة *يوم اللقاء*

سُلامى

رَشْفة

إكسير

الإبراق

أفحم

الإحقاق

الأبواق